

و ماسواما (209)



sadigalsamarrai@gmail.com

سلوك الإستعباد والبشر المُنتاد!!

د. صادق السامرائي - الطب النفسي، العراق / أمريكا

"منى إستعبدتهم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا"

هذه الصرخة العظيمة المججلة النافذة في بدن الأيام كالضوء الساطع ، والهادرة في أعماق النفوس البشرية منذ إنبثاق النور العربي السامي ، ستبقى إلى الأبد عنيفة فائقة المعاني والدلالات ، لأنها قد عبّرت عن مفتاح السعادة الأرضية والبناء الحضاري الجميل الذي يحبه مبدع الأكوان وخالق الإنسان .
وبرغم هذا الوعي الكبير وقوة الإرادة الإنسانية في تحقيق الحياة الحرة السعيدة القائمة في رياض العدل والسماحة والسلام ، فإن البشرية لازالت في مأزق العبودية وقوانين التفاعلات الناجمة عنها ، والتي تتسبب في إدامة الويلات والبؤس المرير فوق التراب .

والبشرية عهدت في مسيرتها الطويلة نظام الإستعباد ، فسخرت من بني جنسها بشرا مستعبدا من قبل البشر الآخر وموظفا لخدمته وتحقيق غاياته .

و المتاجرة بالبشر معروفة في التاريخ بمرارتها وقسوتها وأساليبها في تحويله إلى قطيع .

وقد تحققت بعض الحركات التحررية في القرنين الماضيين من أجل تحطيم هذا النظام الإجتماعي التعسفي، فساهمت نوعا ما في القضاء على سياسة الإستعباد الإجتماعي ، فإنتهت تجارة العبيد في القرن التاسع عشر بعد أن كانت أربح تجارة عرفها التاريخ آنذاك .

وفي أواخر القرن التاسع عشر ، ألف عبد الرحمن الكواكبي كتابه "طبائع الإستبداد ومصارع الإستعباد" وفيه دلالات وتفاعلات توضيحية عن علاقة الإستبداد بالإستعباد ، وشروهما على المسيرة البشرية ونتائجهما الضارة دوما .

وفي 1906 عقدت عصبة الأمم المتحدة مؤتمر العبودية وقررت منع تجارة العبيد وإلغاء العبودية بشتى أشكالها ، كما تم إصدار الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام 1948 ومعاهدة الأمم المتحدة التكميلية لعام 1956 بشأن إلغاء العبودية وتجارة ومؤسسات الرقيق الشبيهة بالعبودية .

لكن الإستعباد بقي كسلوك متواصل بين البشر وفقا لمواطن الإختلاف بينهم ، وتعددت أسبابه

منى إستعبدتهم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا

هذه الصرخة العظيمة المججلة النافذة في بدن الأيام كالضوء الساطع ، والهادرة في أعماق النفوس البشرية منذ إنبثاق النور العربي السامي ، ستبقى إلى الأبد عنيفة فائقة المعاني والدلالات

برغم هذا الوعي الكبير وقوة الإرادة الإنسانية في تحقيق الحياة الحرة السعيدة القائمة في رياض العدل والسماحة والسلام ، فإن البشرية لازالت في مأزق العبودية وقوانين التفاعلات الناجمة عنها

المتاجرة بالبشر معروفة في التاريخ بمرارتها وقسوتها وأساليبها في تحويله إلى قطيع

في أواخر القرن التاسع عشر ، ألف عبد الرحمن الكواكبي كتابه "طبائع الإستبداد ومصارع الإستعباد" وفيه دلالات وتفاعلات توضيحية عن

في 1906 عقدت عصبة الأمم
المتحدة مؤتمر العبودية
وقررت منع تجارة العبيد
والغاء العبودية بشئى أشكالها

لكن الإستعداد بقي كسلوك
متواصل بين البشر وفقاً
لمواطن الإختلاف بينهم

قد يكون الإستعداد بسبب
الجنس أو الرأي أو المذهب
والمدرسة والإعتقاد وتغيرها
من الأسباب

أصبح الإستعداد ليس فردياً
وحسب وإنما جماعياً وأكثر،
فقد سلّبت شعوبه بالكامل من
حريتها ووُجّع قيد الإستعداد
في أعناقها

بل وأصبحت الحرية تساند
الإستعداد لأنه يوفر لها القدرة
على الإستمرار ويمدها بالعقول
والأفكار ، وبالقدرات
الإقتصادية اللازمة لتحقيق
أعلى درجات الحرية

أخذت تظهر في الأرض مثلما
كان في العصور السابقة دول
وإمبراطوريات تستعوز على
شعوبه وأمم وتصادر حقوقها

لكي يتحقق مفهوم الإستعداد لا
بد من إشاعة الثقافة المتصلة
به ، والمساهمة في تقريبه إلى
النفوس المُستهدفة

وتعقدت تقنياته وتطورت وتجلت بجلايبب ثقيلة ومتعددة يصعب الكشف عنه فيها.

فقد يكون الإستعداد بسبب الجنس أو الرأي أو المذهب والمدرسة والإعتقاد وغيرها من الأسباب ،
التي تظهر على أنها ذات منحى حضاري وفيها توجه إنساني ، وفي جوهرها ذات غايات إستعدادية
وتعسفية قاسية.

وأصبح الإستعداد ليس فردياً وحسب وإنما جماعياً وأكثر، فقد سلّبت شعوب بالكامل من حريتها
ووضع قيد الإستعداد في أعناقها ، فراحت تنن وتعاني من فقدان حريتها وقدرتها على الحياة مثل باقي
البشر الذي ينعم بالحرية ويتلذذ بطعم الرخاء والمدنية.

بل وأصبحت الحرية تساند الإستعداد لأنه يوفر لها القدرة على الإستمرار ويمدها بالعقول والأفكار
، وبالقدرات الإقتصادية اللازمة لتحقيق أعلى درجات الحرية ، والتعبيرات المتحررة من كل قيد أو
رادع.

فأخذت تظهر في الأرض مثلما كان في العصور السابقة دول وإمبراطوريات تستعوز على شعوب
وأمم وتصادر حقوقها ، وتحولها إلى أوطان للبشر المسخر لخدمة ما تريده وتطمح إليه وفقاً لسياساتها
المزعومة وخطتها الدفينة.

وما خلت المسيرة الأرضية يوماً من هذه الظاهرة ، التي مضت وفقاً لمعايير القوى والتوازنات
المهيمنة على حركة الحياة فوقها ، والتي تدير دفة الأحداث بموجب مصالحها وتوجهاتها في تحقيق
أكبر قدر من إحكام القبضة على عنق الآخر المستعبَد والمسلوب من إرادته وتقرير مصيره.

ولكي يتحقق مفهوم الإستعداد لا بد من إشاعة الثقافة المتصلة به ، والمساهمة في تقريبه إلى
النفوس المُستهدفة ، لكي يتم قيادتها بسلاسة وبجهد قليل ، وبذلك يتم توفير أسباب صناعة القطيع
البشري الذي يركض وراء من يقرر مصيره ، ويقوده بلا رأي إلى حيث يريد ووفقاً لما هو مطلوب
منه.

وترى في هذا العالم المُستعبَد مناهج ثقافة إستلطاق دور الضحية وسفح الدموع وجلد الذات
والإمعان بالقسوة عليها وعلى غيرها.

ولكي يتحقق الإستعداد السافر لا بد للناس أن ينشغلوا بأنفسهم و ببعضهم البعض ، لكي يكون
سيدهم في مأمن من شرورهم ، وليكونوا في حالة إعتقاد تام عليه وعدم القدرة على الحياة من دونه
برغم إستعباده لهم ، لأنه سيكون منقذهم من شرور بعضهم البعض.

وتلك ميكانيكية التفاعل البشري التي عهدتها البشرية بعد أن تحررت من الإسترقاق ، فإنقلت من
ذلك الأسلوب التجاري المباشر إلى أسلوب آخر أكثر تعقيداً وأشد قسوة ومدنية وحضارة من سابقه ،
لأنها قد وفرت جهداً وإقتصاداً بمن ينوب عنها من البشر أنفسهم في إستعداد أبناء جلدتهم وتوفير
أعظم الأرباح لسيدهم ، الذي صنع منهم ما يريده من أدوات مناسبة للفوز بغاياته.

ويبدو أن البشرية لا يمكنها أن تتجاوز عقدة الإستعداد وكأنها من ضرورات البقاء والتواصل ، فلا

تستطيع أن تتخيل الحياة من غير هذا التفاعل السلبي ما بين أبناء الأرض جميعا , فيكون القليل منهم حرا والكثير تحت أهوال الإستعباد المختلفة , ويعاني من شدة الحياة وقسوتها ومرارة أيامها وحرمانها له من أسباب الرجاء والأمل , ويعيش في عالمه المُحبط الأسود الذي يدفع به للقفز إلى أحواض المآسي والويلات التي تفوق الخيال الحر المتسيد.

ولهذا فأن عدد البشر المُستعبد في إزدیاد, لأن في الكثرة رد إعتبار, مما يتسبب في المآسي المروعة والخصومات الشديدة , التي تفضي إلى الهلاك الدائم والكره القائم ما بين أبناء حواء وآدم , فميكانيكية الصراع تحتم أن تكون الحركة بمسارين متضادين , فالحر يتمسك بحريته ويريد أن يراها ويحافظ عليها ويستشعرها من خلال تحقيق ما لا يريده في الآخر الذي يريد أن يتخلص من قيده ويكون حرا هو الآخر , فهذا يمنع الخوف والجشع وذلك يدفعه الشوق والطمع.

" الحر إلى الخير سابق, والعبد من مواظنه آبق "

فالظلم إستعباد والفقر إستعباد والجوع إستعباد والتهجير إستعباد وإشاعة الخوف والقلق وعدم الأمان إستعباد , وكذلك نهب البشر من أرضه وروحه وكيانه وكل ما يمت بصلة إليه وبيعه في أسواق الرقيق الحضارية ذات القدرات المعاصرة على تفریغ البشر من ذاته , وقيادته بإرادته المقيدة إلى حيث تحقيق غايات الأسياد وبناء حضارة الإستعباد الشامخة.

وخلاصة السعادة الأرضية تتمثل في هذا القول لا غير , لأن المشاكل البشرية في معظمها مردها إلى نهج البشر طريق العبودية للبشر الذي يسخره لتحقيق غاياته الخفية.

"لا تكن عبدَ غيرك, وقد جعلك الله حرا"

فلماذا لا يريد الناس حريتهم ويرغبون في العبودية لغيرهم , بل يصنعون من يستعبدهم ويزيقهم أفسى أنواع الظلم والعناء!؟

سؤال يبقى بلا جواب وعلمه عند علام الغيوب وواضع الأسباب!!

لكي يتحقق الإستعباد السافر لا بد للناس أن ينشغلوا بأنفسهم وبعصم البعض , لكي يكون سببهم في مأمن من شهورهم , وليكونوا في حالة إعتقاد تام عليه

تلك ميكانيكية التفاعل البشري التي عمدتها البشرية بعد أن تحررت من الإسترقاق , فإنتقلت من ذلك الأسلوب التجاري المباشر إلى أسلوب آخر أكثر تعقيدا وأشد قسوة ومدنية وحضارة من سابقه

يبدو أن البشرية لا يمكنها أن تتجاوز محقة الإستعباد وكأنها من ضرورات البقاء والتواصل

الظلم إستعباد والفقر إستعباد والجوع إستعباد والتهجير إستعباد وإشاعة الخوف والقلق وعدم الأمان إستعباد

لا تكن عبدَ غيرك, وقد جعلك الله حرا" فلماذا لا يريد الناس حريتهم ويرغبون في العبودية لغيرهم

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa209-140518.pdf>



شبكة علوم النفس العربية

نحو لياقة نفسانية أفضل

مؤسسة العلوم النفسية العربية
معا ... نذهب أبعد